مدرسة الجمعية الخيرية في المحلة الكبرى

(الاحتفال بافتتاحها والغرض من تعليمها)

ذكرنا في الجزء الخامس من هذه السنة خبر الاحتفال بتأسيس هذه المدرسة وقد تم ولله الحمد بناؤها وأهلت بالتلامذة وانتظمت عقود الدروس فيها واحتفل بافتتاحها رسميا اول أمس بحضور رئيس الجمعية الاستاذ الامام وابراهيم بك الهلباوي من أعضاء مجلس ادارتها ومنشئ هذه المحلة من أعضاء الجمعية وحضور وجهاء المحلة وعمال الحكومة فيها وبدئ الاحتفال بتلاوة أحد التلامذة لآيات من الكتاب العزيز ثم وقف الرئيس فبسمل وحمد الله تعالى وصلى وسلم على رسوله وشكر للحاضرين عنايتهم بحضور الاحتفال الدالة على رغبتهم في نشر العلم ومساعدة الجمعية الخيرية على عملها وذكر الغرض من هذا التعليم الابتدائي فقال ما خلاصته:

المدرسة تعلم المبتدئين القراءة والخط والحساب ومبادئ العربية وتربيهم على الاعمال الدينية والادبية تمدهم بذلك للعيشة الصالحة في أنفسهم ومع الناس الذين يعيشون معهم وهذه المبادئ لا يستغني عنها انسان فقيرا كان أو غنيا فالفلاح يحتاج الى مكاتبة بعض الناس فاذا كتب بيده أو قرأ ما يكتب اليه وحسب ما يبيعه ويشتريه بنفسه فهو خير له من الاستعانة بغيره على ذلك ولهذا التعليم فائدة أعلى من الاستعانة على المعيشة وهي ارتقاء العقل واستعداده لفهم المصلحة وتميزها عن المفسدة فاننا نرى كثيراً من الناس يقع التنازع بينهم فيعتدي بعضهم على بعض حتى تفنى ثروة الفريقين في التنازع واذا حاولت اقناعهم بأن هذا ضار وأن الخير والصواب في خلافه لا يسهل عليك ذلك لأنهم لا يفهمون. وأهم ما تقصده الجمعية من التربية في مدارسها تنشئة المتعلمين على الفضائل كالصدق والأمانة اللذين عليهما مدار السعادة. ما نجحت أمة الا بهما ولا هلكت الا بفقدهما وقد حث الاسلام وجميع الأديان على هذين الخلقين ونهى عن الكذب والخيانة أشد النهي واننا مع ذلك نرى الكذب والخيانة فاشيين في الناس الى حد سلبت معه ثقة الناس بعضهم ببعض وفقد الثقة مؤذن بالخراب والدمار. هذا التعليم سلم يرتقي عنه الغني الى التعليم العالي ويجعل الفقير على مقربة من الغني في الفكر والخلق فإما أن يجد فيلحقه واما أن يحسن الاستفادة منه بخدمته ومساعدته في أعماله بالصدق والامانة فهذا التعليم لا يستغني عنه أحد حتى الحمار والحمال

وتعلم المدرسة أيضا مبادئ العلوم واللغة أجنبية لاعداد من يريد خدمة الحكومة

لها وهذا مالا ترغب فيه الجمعية نفسها لكنه من حاجة الناس وانما رغبتها في الاستعانة به على تعلم الصناعة لمن يريدها ولها الرجاء بهمة وجهاء المحلة وأهل الغيرة من أغنيائها في تأسيس قسم صناعي في هذه المدرسة فان المحلة بلدة كانت معروفة بالصناعة وقد وعد صاحب السعادة أحمد باشا المنشاوي بأنه مستعد لمساعدة الجمعية على إنشاء القسم الصناعي فلم يبق الا اهتمام الوجهاء الحاضرين بالاكتتاب في جميع المركز وجمع المال الذي يمكن من إتمام العمل .

وقال قد علمت بأن أهل المحلة الكبرى ثلاثون ألفا أو يزيدون وهي قاعدة مركز عدده كثير وليس فيها الا مدرسة للقبط وأخرى للامريكان وانني قد رأيت في بعض سياحاتي في البلاد الاجنبية مدينة عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة وقد أنشأ الاهالي فيها مدرسة كلية تعلم فيها جميع العلوم العالية بمساعدة أهل المركز الذي هي قاعدته أنفقوا عليها كذا من ملايين الفرنكات (نسيت العدد) على ان فيها عدة مدارس ابتدائية وفي كل قرية من قرى ذلك المركز مدرسة ابتدائية فنرجو ان نبلغ من مجاراة أمثال هؤلاء الاحياء أن ترتقي مدرستنا هذه ويكون فيها قسم صناعي وان يكون لنا في القاهرة مدرسة كلية فان القطر المصري كله لم يبلغ من التقدم في العلم ان كانت فيه مدرسة كلية تعلم فيها العلوم العالية

ثم دعي كاتب هذه السطور الى ان يخطب فيهم فلبى وقام فقال بعد الافتتاح بذكر الله — رغبتم الي في الكلام، بعد ما سمعتم من حكم الاستاذ الامام، وان مثل الذي يعرض ما عنده من ذلك في حضرة الاستاذ اذا هو أحسن كمثل ذلك الوزير العجمي في الاستانة اذ كانت له منطقة مرصعة بالجواهر يتمنطق بها فوق ثيابه يتراءى أمام الناس ويفتخر فعلم السلطان بذلك فأمر بعض وزرائه ويقال انه مصطفى فاضل باشا المصري بأن يدعوه الى داره ويريه مايصغر منطقته في عينه فدعاه الى العشاء والسمر فرأى من الآنية والماعون والأثاث المرصعة بالجواهر ما خطف بصره حتى قيل انه رأى الشباشب (كلمة مصرية مفردها شبشب وهو الكوث او القفش في العربية) وسيور القبقاب في المراحيض مرصعة بالجواهر فصار بعد ذلك يخفي منطقته تحت كسائه — ولكننا نقول شيئا تلبية للطلب

جرت العادة بأن يكون الكلام في مقام الاحتفال بافتتاح مدرسة محصورا في مدح العلم والتعليم على ان العلم غني عن المدح باتفاق الناس على فضله فلا يوجد جاهل ينكر شرف العلم وشدة الحاجة اليه ولكن الناس في امتنا كانوا يعتقدون ان العلم

محصور في أمور مخصوصة يكفي ان يقوم بها بعض الناس فيسقط الطلب عن الآخرين وكان يصعب إقناع الجمهور بوجوب تعميم العلم وبأنه يحتاج اليه في كل شيء ولكن قد تغيرت الآن الاحوال في هذه البلاد وصرنا نرى جميع طبقات الناس حتى الطهاة (الطباخين) يقذفون أولادهم ذكرانا واناثا في المدارس لاحساسهم بأن التعليم لابد منه ولكن هذا الاحساس عند الاكثرين منهم لا يعرفون حقيقته ولا سببه ولا فائدة التعليم الحقيقية. والسبب الحقيقي فيه التأثر بحال الاجانب الذين انتشروا في هذه البلاد فهو سبب من الخارج لا من النفس فهذه البلاد الآن في طور الانقلاب من حال الى حال إذ حدثت فيها مجار جديدة للحياة او تيارات تجرف في طريقها الناس من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ومنها تيار تعميم التعليم فالناس يرغبون في تعليم أولادهم وهم لا يدرون ماذا يتعلمون ولا ماهي فائدة التعليم ولذلك لا يميزون بين مدرسة وأخرى . وقد سألت بعض المتعلمين التعليم الثاني في المدرسة الخديوية عن رأي التلامذة في فائدة التعليم مع العلم بأن أعمال الحكومة لا تفي بجميع المتعلمين فقال انهم يرون ان المتعلم يقدر على أعمال شريفة يستغني بها لا يقدر عليها غيره فقلت له ان الذي يتعلم ليعيش بعلمه لا غرض له الا نفسه فهو محترف كالصانع والزارع وقد رأينا كثيرا من العوام حصلوا من الثروة بالزراعة والتجارة مالم يقاربهم فيه متعلم كزعزوع بك وفلان وفلان . والذين ارتقوا بالتعلم في مصر قليلون كفلان وفلان من القضاة وغيرهم ولم نجد فيهم من حصل بعلمه ثروة كبيرة كأولئك العامة فالتعليم في مصر لم يرق الى درجة يسهل معها تحصيل الثروة الواسعة على ان نفقات المتعلمين تكون أكثر فاذا طلبوا الثروة ولم يجدوها كانوا أشقى من غيرهم في المعيشة . فقال هذا صحيح . ثم قلت له ألا يوجد في اخوانك المتعلمين من يفكر في التوسل بالعلم الى خدمة أمته وبلاده خدمة عامة فيكون أفضل من النجار والحداد والفلاح الذين لا يعملون الا لاجل بطونهم وان كان عملهم الجزئي نافعا للناس ؟ فقال يوجد قليل منهم يفكر في انشاء جريدة لخدمة الوطن . قلت وماذا رأوا من خدمة الجرائد للناس ؟ أي شيء صلوا كانت عليه الامة فتحولت عنه بارشاد الجرائد وأي شيء نافع كانت منصرفة عنه فتوجهت اليه بحثها وترغيبها ؟ وهل تعرف أنت للجريدة الفلانية والجريدة الفلانية مذهبا ورأيا نافعا تمتاز بالدعوة اليه لترقية البلاد ؟ فقال لا وكان قصارى الحديث معه أنه ليس لاحد غاية مقصودة من التعلم وراء خدمة الحكومة (أقول ويلحق بها الطب والمحاماة عند نفر قليل)

لهذا التعليم الناقص في مصر سيئات ومضار فان الفتن والمعاصي الضارة التي ألمت بالبلاد بواسطة الاجانب لم تنتشر فيها الا بسعي هؤلاء المتعلمين وقد قال الاستاذ الامام ان من مقاصد المدارس إفادة المتعلمين الصدق والامانة فبلوه وبلوا غيره من العقلاء المختبرين أنهم ثقة يصدق أكثر المتعلمين وأمانتهم يجيبون لالا . والسبب في في عدم إفادة التعليم أمثال هذه الصفات هو أن القائمين بأمر التعليم لا يقصدون ذلك فان الحكومة إنما تقصد بمدارسها إيجاد خدم لها يقدرون على أعمال مخصوصة وليس لها عناية بتربية الارواح وترقية الأمة هذا وان مدارس الحكومة خير المدارس وأرقاها تعليما ونظاما . واما المدارس الاهلية فالمقصود منها التجارة والكسب وأكثر أصحابها لا يعرفون طريق الجمع بين الافادة المطلوبة والاستفادة وقد دخلت مرة إحدى هذه المدارس وسألت احد المدرسين عن الكتب التي يقرأها في الدين — والدين كما لا يخفى أساس التهذيب — فقال انني كنت بدأت بقراءة شيء من السيرة النبوية وبمناسبة ذكر المعراج ذكرت لهم فرضية الصلاة وأردت ان أذكر شيئا من أحكامها فرأيت على وجوه التلامذة ما يدل على عدم الارتياح فتركت درس الدين : يعني ان هؤلاء لا يعلمون الا ما ترتاح اليه نفوس التلامذة وتتلذذ به أي يريدون ان يكون التلامذة هم نظار المدارس

ولا نعرف في البلاد مدارس غرضها تهذيب النفوس غير مدارس الجمعية الخيرية وذلك ان رئيس هذه الجمعية ومساعديه في ادارتها هم خيرة رجال هذه البلاد معرفة وغيرة وأقدرهم على إيجاد التعليم النافع والتربية الصحيحة ولا تنتج الامم الضعيفة أمثالهم الا بعد مخض الزمان لها في قرون طويلة فيجب أن تغتنم فرصة وجودهم بمساعدة الجمعية على نشر التعليم والتربية على الوجه الصحيح النافع فانه ما قصرها الا قلة المال . وقد أحسن وجهاء المحلة صنعا بتفويض أمر مدرستهم الى الجمعية وانني أدعو كل واحد من الساعين الى مساعدة هذه الجمعية بنفسه وبدعوة غيره الى ذلك فان الامور العامة لا تحيا وتبلغ كمالها الا بالدعوة فينبغي لكل واحد أن يدعو نفسه وكل من يظن فيه الخير الى مساعدتها على قدر الاستطاعة من غير تفرقة بين غني وفقير فان الله تعالى يقول لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا أي من كان رزقه ضيقا فلينفق بقدر حاله . والقليل من الكثير كثير فلو أن كل واحد من أهالي القطر بذل للجمعية قرشا واحدا في السنة لكان لها من ذلك

ملايين تمكنها من تعميم التعليم في القطر

وليعلم كل من يبذل شيئا للجمعية ولو قليلا أنه شريك في الاجر وفي الشرف لمن بذل الكثير من حيث أن كل واحد بذل ما في وسعه ومن حيث أن العمل العام لم يقم ولا يقوم به واحد وانما يتم بالتعاون والمساعدة وباذل القليل ركن من اركان التعاون

ثم دعي الى الخطابة ابراهيم بك الهلباوي فقام وذكر ملخص تاريخ هذه الجمعية وبين أنها جمعية عمل لا جمعية قول وأنه احس من نفسه بالعجز عن الخطابة في احتفال مدرسة للجمعية على تمرنه على الخطابة . قال انني دخلت في هذه الجمعية في أول تأسيسها منذ اثنتي عشرة سنة ولم اخطب فيها قط وقد عرضت مناسبات للخطابة فكنت استأذن مولانا الرئيس بالتلويح ووكيل الجمعية وبعض اعضاء الادارة بالتصريح فكانوا يضمون أصابعهم على أفواههم اشارة الى وجوب السكوت وقد قامت في هذه المدة جمعيات قولية كثيرة فذهب بها ودرس رسومها القول والخطابة على أنها لم تصادف من المقاومة ما لقيت الجمعية الخيرية الاسلامية: وذكر أسماء هذه الجمعيات التي كانت محترمة في اوقات كان فيها ذكر الجمعية الخيرية مخيفا ومزدرى به حتى كان الداعي الى مساعدتها لا يتوقع الا الخيبة وحتى ان بعض الباشوات هدد محصلها مرة بالضرب بعد أن اهانه بالقول . وقد ثبت رجالها مع هذه الصعوبات على عملهم ليثبتوا للناس ان الساعي بالخير مع الصدق والاخلاص لا بد ان يظفر بالنجاح اذا هو ثبت وصبر وكذلك كان ونالت هذه الجمعية الثقة في نفوس الناس بعد ما تولى رئاستها مولانا الرئيس الحاضر حتى أحس كثير من العقلاء بوجوب كفالتها للمدارس الاهلية التي ينشئها الاهالي لتربية أولادهم وكان السابق لذلك وجهاء المنيا فقد أنشأوا مدرسة في بني مزار وعهدوا بادارتها الى الجمعية رجاء بقائها وثباتها والانتفاع بتعليمها وكذلك فعلتم يا وجهاء أهل المحلة فانكم طلبتم من الجمعية أن تدير لكم هذه المدرسة التي انشأتموها بأموالكم لمثل ذلك الغرض بمحض الاحساس بالثقة بالجمعية . وبعد ما أتم خطابه المفيد ختم الاحتفال كما بدىء بتلاوة القرآن الكريم ولاصحة لما ذكر في المؤيد أمس من ان بعض المدعوين تصدوا للخطابة فمنعهم مأمور المركز الخ . فثني على وجهاء المحلة أطيب الثناء . ونرجو لهم كمال الارتقاء .

(إرجاء وعد)

وعدنا في الجزء الماضي بأن نكتب في هذا الجزء مقالا في طريق تعلم الكتابة المصرية والروح الذي تحيا به الامم وقد حال دون ذلك ما عرض من الكلام في احتفال مدرسة المحلة وفي خطبتنا فيه شيء من الموضوع الموعود به وسنعود اليه في جزء آخر ان شاء الله تعالى

التقريظ

(كتاب الاقتصاد في الاعتقاد . لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي)

أبو حامد من اكبر أئمة الاشاعرة في الكلام وكتبه أسهل عبارة وأحسن بسطا وتقسيما وتحقيقا من سائر الكتب فكتابه الاقتصاد من أنفع كتب الكلام وأفيدها وفيه مباحث كثيرة لاتوجد في كل كتب هذا العلم المعتبرة وينتقد عليه ما ينتقد على جميع كتب الاشاعرة من الفلسفة التي لامعنى لها في عقائد الدين وان كان هو أبعد من غيره عن الجمود على المذهب لانه خالف اصحابه الاشاعرة في بعض المسائل . وذلك كالبحث في صفات الله تعالى من حيث انها زائدة على الذات فان الذي ساقه وأمثاله الى ذلك الجدل مع المعتزلة وما اغنى المسلمين عن المذهبين والا كتفاء بالوقوف عند ما ورد به الشرع وقطع به العقل من غير فلسفة فيه . مثال هذا ان العقل والشرع علمانا ان الله تعالى خالق العالمين عالم بما خلق لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فأي حاجة بنا مع هذا الى ان نبحث عن هذا العلم الالهي هل هو عين الذات الالهية ام غيرها ام لا عينها ولا غيرها . هل عرفنا حقيقة ذات الله وحقيقة علم الله فنسب هذا الى تلك ونحكم بأن النسبة بينهما كذا . كلا انها فتنة ابتلي بها علماء المسلمين الا من لزم طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين الى عهد الأئمة الاربعة وقد نجا منها الامام الغزالي بعد ما تصوف . وجملة القول ان هذا الكتاب لايستغني عنه المشتغل بتحصيل علم الكلام لانه من أوضح الكتب وأحسنها وهو يطلب من الشيخ مصطفى القباني الدمشقي طابعه في مصر

كتاب حكمة المخلوقات للغزالي

التفكر من أفضل العبادات بل هو عبادة النبيين والصديقين والعلماء الراسخين والتفكر في حكم المخلوقات يرقي العقل بزيادة العلم والروح بقوة الايمان وهذا الكتاب يفتح لقارئه أبواب التفكر في الخلق بما ينبهه الى حكمها فمنها حكم الله في السموات والنيرات ومنها حكمه في الارض والبحار والماء والهواء والنار ومنها حكمه في خلق الانسان وأنواع الحيوان وحكمه في خلق النبات فرحم الله أبا حامد ما أعرفه بطرق

النفع وما أحسن بيانه . والكتاب يطلب من الشيخ مصطفى القباني الذي تولى طبعه وتصحيحه جزاه الله خيرا

﴿ كتاب أنباء نجباء الابناء ﴾

مؤلف هذا الكتاب أبو هاشم محمد بن محمد بن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ وهو مبتدأ بنبذة من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونبذ أخرى في أخبار بعض كبار الصحابة ثم في أخبار بعض الملوك الكبراء وبعض الصالحين واخبار الكتاب كلها تربية مفيدة وفكاهات مستطابة وانني قد فتحته الآن لانقل منه نبذة من غير اختيار فاذا انا قد فتحته على هذه الحكاية قال

(درتا زين لقرتي عين)

قال الشيخ رحمه الله ورضي عنه بلغني ان محمد ابن عبد الرحمن الهاشمي قال كانت غابة أم جعفر بن يحيى تزور أمي وكانت لبيبة من النساء حازمة فصيحة برزة يعجبني ان اجدها عند أمي فأستكثر من حديثها فقلت لها يوما يا أم جعفر ان بعض الناس يفضل جعفرا على الفضل وبعضهم يفضل الفضل على جعفر فأخبريني . فقالت مازلنا نعرف الفضل للفضل : فقلت إن اكثر الناس على خلاف هذا فقالت ها أنا أحدثك واقض أنت وذلك الذي أردت منها . فقالت كانا يوما يلعبان في داري فدخل أبوهما فدعا بالغداء وأحضرهما فطعما معه ثم آنسهما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشطرنج ؟ فقال جعفر وكان أجرأهما نعم قال فهل لاعبت أخاك بها ؟ قال جعفر لا قال فالعبا بها بين يدي لارى لمن الغلب فقال جعفر نعم وكان الفضل أبصر منه بها فجيء بالشطرنج فصفت بينهما وأقبل عليها جعفر وأعرض عنها الفضل فقال له أبوه مالك لاتلاعب أخاك ؟ فقال لاأحب ذلك فقال جعفر انه يرى انه أعلم بها فيأنف من ملاعبتي وأنا ألاعبه مخاطرة فقال الفضل لاأفعل فقال ابوه لاعبه وانا معك . فقال جعفر رضيت وأبى الفضل واستعفى ابوه فاعفاه . ثم قالت لي قد حدثتك فاقض . فقلت قد قضيت للفضل بالفضل على اخيه فقالت لو علمت أنك لاتحسن القضاء لما حكمتك أفلا ترى ان جعفراً قد سقط اربع سقطات تنزه الفضل عنهن . فسقط حين اعترف على نفسه بانه يلعب بالشطرنج وكان ابوه صاحب جد . وسقط على التزام ملاعبة أخيه واظهار الشهوة

اغلبه والتعرض لغضبه . وسقط في طلب المقامر، واظهار الحرص على مال اخيه . والرابعة قاصمة الظهر حين قال ابوه لاخيه لاعبه وانا معك فقال اخوه لا وقال هو نعم فتاصب صفا فيه ابوه واخوه . فقلت احسنت والله وانك لاقضى من الشعبي ثم قلت لها عزمت عليك اخبريني هل خفي مثل هذا على جعفر وقد فطن له اخوه ؟ فقالت لولا العزمة لما اخبرتك ان أباهما لما خرج قلت للفضل خالية به : ما منعك من ادخال السرور على ابيك بملاعبة اخيك ؟ فقال امران : احدهما لواني لاعبته اغلبته فاخجلته والثاني قول ابي لاعبه وانا معك فما يسرني أن يكون ابي معي على اخي . ثم خلوت بجعفر فقلت له يسأل ابوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت اخوك وتعترف وابوك صاحب جده فقال سمعت ابي يقول نعم هو المال المكدود وقد علم ما نلقاه من كد التعلم والتأدب ولم آمن ان يكون بلغه انا نلعب بها ولان يبادر فينكر فبادرت بالاقرار إشفاقا على نفسي وعليه . وقلت إن كان توبيخ فدينه من المواجهة به فقلت له يا ابي فلما تقول الاعبه مخاطرة كأنك تقامر اخاك وتستكثر ماله فقال كلا ولكنه يستحسن الدواة التي وهبها لي امير المؤمنين فعرضتها عليه فابى قبولها وطمعت ان يلاعبني فاخاطره عليها وهو يغلبني فتطيب نفسه بأخذها . فقلت لها يا اماه ما كانت هذه الدواة ؟ فقالت ان جعفرا دخل على امير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر محلاة بالياقوت الازرق والاصفر فرآه ينظر اليها فوهبها له . فقلت ايه فقالت ثم قلت لجعفر هبك اعتذرت بما سمعت فما عذرك من الرضا بمناصبة ابيك حين قال لاعبه وانا معك فقلت انت نعم وقال هو لا فقال عرفت انه غالبي ولو قمر لعبه لتغالبت له مع ماله من الشرف والسرور بتجيزا يه اليه . قال محمد بن عبد الرحمن فقلت بخ بخ هذه والله السيادة . ثم قلت لها يا أماه اكان منهما من بلغ الحلم ! فقالت يا بني اين يذهب بك اخبرك عن صبيين يلعبان فتقول كان منهما من بلغ الحلم لقد كنا ننهى الصبي اذا بلغ العشر وحضر من يستحي منه ان يقبله

(المنار) فليتأمل هذه التربية العالية الذين يتبجحون بلفظ التربية اليوم ويقولون ان المسلمين في أيام مدنيتهم لم يكن لهم عناية بالتربية اذ لم نجد في كتبهم لها ذكرا (اي بلفظها) فأين يوجد مثل هذه التربية عند معاصرينا اللاهجين بالكلمة الشريفة وما اشتق منها .